العلاقة بين حزب الله والنظام السياسي في لبنان اليات التجاذب والتنافر

The Relations between Hezbollah and Lebanon government between mechanism of attraction and repulsion

م.م. علاء عبد الرزاق*

assistant teacher Alaa Abd Ulrazzaq

Lecturer of Political Thought

الملخص :

يتناول البحث طبيعة العلاقة التي تربط حزب الله بالنظام السياسي اللبناني واليات هذه العلاقة تجاذباً وتنافراً والتي لا يمكن فهمها اي هذه العلاقة بدون تناول الاسس الفكرية والعقائدية للحزب والبيئة الاجتماعية التي نشأ في اطارها وكيف أدت العقيدة التي تبناها الحزب الا وهي عقيدة ولاية الفقيه لارتباط الحزب بالتطورات السياسية في البلد الذي احتضن هذه الفكرة الا وهو ايران حتى اضحى الحزب بمثابة أحد امتدادات ايران الاقليمية في المنطقة، وكيف أثر مثل هذا الترابط على طبيعة مشاركة الحزب في الحياة السياسية اللبنانية، ومن المعروف ان النظام السياسي هو نظام قائم على المحاصصة

* **Center of Strategic and International Studies Center**

alaaakadian@gmail.com

المذهبية وهو ما يعني ان وجود الحزب يضيف بعداً جديدا للازمات السياسية في لبنان، سيما مع احتفاظ الحزب بسلاحه متميزاً بذلك عن باقي الاحزاب والحركات السياسية في لبنان والتي تخلت عن سلاحها في اعقاب نهاية الحرب الاهلية اللبنانية.

الكلمات المفتاحية: حزب الله، النظام السياسي اللبناني، التوافق الطائفي، التجاذب السياسي، التنافر، ولاية الفقيه.

Abstract:

The topic area of that's paper dealing with the nature of the relations between Hezbollah with the Lebanese political system that's relationship fluctuate between the mechanisms of attraction and repulsion, which cannot be understood, i.e., this relationship without addressing the intellectual and ideological foundations of the party and the social environment in which it arose and how the doctrine adopted by the party, which is the doctrine of Wilayat al-Faqih, led to the party's connection with political developments In the country that embraced this idea, namely Iran, until the party became one of Iran's regional extensions in the region, and how did such interconnection affect the nature of the party's participation in Lebanese political life, and it is known that the political system is a system based on sectarian quotas, which means that the existence of The party adds a new dimension to the political crises in Lebanon, especially with the party keeping its weapons, distinct

from the rest of the political parties and movements in Lebanon, which gave up their weapons following the end of the Lebanese civil war.

Key Words: Hezbollah, the Lebanese political system, sectarian consensus, political tension, political attraction repulsion , Wilayat al-Faqih.

المقدمة:

تشكل الاحزاب السياسية القوة الاساسية والفاعلة في النظام السياسي كما تعد احدى القوى الفاعلة في النظام المجتمعي بحكم طبيعتها التي تسعى للتغلغل وكسب الانصار والمؤيدين وعن طريق تبنيها لايدلوجية معينة و وضع البرامج العملية التي تؤهلها لاستمالة عدد أكبر من افراد المجتمع وتنظيمهم في مجالات الحياة الاجتماعية وطريقة مساهمتهم وتعبيرهم عن مجمل القضايا التي تواجه المجتمع وتحشيدهم في أوقات الازمات والتهيئة لاستجابة مشتركة يؤمن بها افراد الحزب ومؤيديه وتعمل في الوقت ذاته على تأمين احتياجات المواطنين على صعيد الحقوق والحريات وبما يتلاءم مع متطلباتهم واحتياجاتهم في المجتمع وتنظيم علاقتهم مع السلطة القائمة سلباً أو ايجاباً. وتعد الاحزاب العقائدية واحدة من الاحزاب التي تحظى بدراسة واهتمام الباحثين والمهتمين بمجال الاحزاب السياسية والفكر السياسي وذلك لما تشكله دراسة الحزب من بحث عميق للفكر والمعتقد الذي يؤمن به الحزب ويسعى لنشره والترويج له في الاوساط المجتمعية ومقدار ما يتواءم في حركيته السياسية مع ما يعلن من مبادئ وأفكار، ويعد الحزب بمثابة انعكاس لمصالح الطبقة أو الفئة التي يمثلها ويسعى لتحقيق مصالحها وقد يسعى لقولبة

الجهة التي ينتمي اليها بما يحمله من افكار ومعتقدات حتى تغدو الجماعة لصيقة بالحزب ومرتبطة به أكثر من ارتباطه بها، سيما اذا كان الحزب يحمل ايدلوجية تحمل بطياتها مشروعا سياسياً يتجاوز الاطار الوطني كما هو الحال مع حزب الله في لبنان وهو موضوع البحث .

أهمية البحث:

يعد حزب الله واحدا من اهم الاحزاب السياسية في لبنان لما يمتلكه من تأثير قوي على الساحة السياسية وعلى موازين القوى داخل النظام السياسي اللبناني فضلا عن دوره الكبير والرئيسي في عملية تحرير جنوب لبنان والشريط الحدودي اللبناني من الاحتلال الاسرائيلي والذي تكلل بالنجاح في الخامس والعشرين من ايار من العام ٢٠٠٠، وتعود اهمية الحزب لتداخل العامل الاقليمي والدولي في مساره السياسي وهو ما ترك تأثيراً على علاقته مع النظام السياسي اللبناني تجاذبا وتنافرا.

فرضية البحث:

ان الفرضية الاساسية التي ينطلق منها البحث تستند على وجود جملة من التقاطعات بين المسار السياسي لحزب الله وتوجهات السياستين الداخلية والخارجية اللبنانية ويعود مثل هذه الظاهرة تتعلق بطبيعة النظام السياسي اللبناني من جهة وطبيعة الايدلوجية الخاصة بحزب الله.

مشكلة البحث:

ان الإشكالية الخاصة بالبحث فتحاول الإجابة على الأسئلة التالية: كيف أثرت العقيدة السياسية التي يحملها ويعتنقها حزب الله على مسار علاقته مع المؤسسات الحكومية في لبنان؟ وهل كانت هذه العلاقة تحمل قدراً من التجاذب والذي كان من الممكن ان يفضي لقدر من التعاون أو ان العلاقة كانت مبنية على التنافر الذي كان من الممكن ان يؤدي لحالة من التقاطع على صعيد عدم المشاركة في المؤسسات السياسية كالبرلمان والحكومة أو الصدام المباشر وذلك بتغليب مصلحة الحزب على مصلحة الدولة وامنها وعلاقاتها الخارجية؟ وكيف طور حزب الله من مبادئه و وائم بينها وبين ضرورات المشاركة السياسية في بلد متعدد الطوائف مثل لبنان يقوم نظام الحكم فيه على التوافق المذهبي بين طوائف رئيسة كرست مبدأ تقاسم الحصص بين بعضها البعض؛ وكيف تمكن حزب الله من تشخيص الازمة الخاصة بالنظام اللبناني ولكنه انسجم شيئا فشيئاً مع النظام الطائفي وشارك بفاعلية في مؤسساته بعد العام ١٩٩١.

ولابد من القول إن ظهور حزب الله ولعبه لدور كبير ومؤثر في الساحة اللبنانية يعود للدور الذي تلعبه أو أضحت تلعبه الطائفة الشيعية في اعقاب الحرب الاهلية اللبنانية وهو دور كان هامشياً حتى بداية عقد الستينات من القرن العشرين ومن ثم تحول لدور رئيسي ومحوري سواء على يد حركة امل والتي انبثق منها حزب الله أو على صعيد الحزب وفاعليته وحركيته في الداخل والخارج اللبناني.

هيكيلة البحث:

يتناول البحث نشوء حزب الله وانبثاقه من داخل رحم اول تنظيم سياسي شيعي في لبنان الا وهو حركة امل ومن ثم تقاطعه معها وذلك تبعا للايدلوجية الدينية التي أضحت مميزة للحزب وحددت مساره السياسي. تتلخص المكونات الفكرية لحزب الله بإيمانه بالإسلام طبقا لمبادئ المعتقد الشيعي الاثني عشري والايمان بولاية الفقيه والجهاد في سبيل الله، ولقد لعب رجال الدين دوراً كبيراً في نشوء الحزب وحتى الوقت الحاضر ، وابتدأ منذ العام ١٩٨٥ برسم معالم دور سياسي واضح ومتميز في لبنان سيما وانه بدأ يطرح شعارات تتعلق برغبته بالإصلاح الاجتماعي أي لم يعد مكتفياً بالبرنامج السياسي فبدأ يطرح منظوره للعلاقة مع المسيحيين شركاء الوطن وطبيعة النظرة للمستكبرين والمستضعفين وكذلك الموقف من الغرب والاستشهاد وكيفية التحول من الايدلوجيا الدينية للايدلوجيا السياسية. ومن ثم دخل الحزب مرحلة جديدة في عقد التسعينات تجلت بتحمل الحزب جملة من المسؤوليات الاجتماعية التي وسعت دائرة جمهوره لتشمل المسلمين والمسيحيين وفي ذات الوقت مشاركاً بالانتخابات البلدية والنيابية ومن طرفا لأول مرة بالحكومة في العام ٢٠٠٥، ويعتمد برنامج حزب الله السياسي على المكونات التالية: المستكبرون والمستضعفون، والرأي حول الدولة الاسلامية وامكانية تشكيلها مع استبعاد لبنان بسبب التوازنات الطائفية الموجودة فيه، والحوار مع المسيحيين، وشروط قانونية للعمل البرلماني و الحكومي، وبرنامج اجتماعي واقتصادي ومؤسسات خدمية تشمل جميع اللبنانيين ومنظمات مدنية وانفتاح اكثر على الواقع اللبناني، إذ بدأ الحزب في هذه المرحلة بانفتاح أكبر واكثر على الواقع اللبناني وانخرط في الحياة السياسية اللبنانية. ان التساؤل الذي يطرح هنا هو هل يستطيع حزب الله بصفته حركة اجتماعية وحزباً سياسياً متكاملاً

ان يؤثر بشكل حيوي على المجتمع ويصبح دافعاً قوياً للتغيير الاجتماعي بينما يعمل هو أصلاً ضمن النظام الطائفي الذي انتقده كُتاب الحزب لحقبة طويلة، وكيف يستطيع الحزب أن يعدل من هويته الاسلامية الجهادية ويتحول لحزب سياسي بارز في الوسط اللبناني عن طريق نشره برنامجاً سياسياً مفصلاً.

المبحث الاول: نشأة حزب الله

يرتبط تاريخ حزب الله بتاريخ الطائفة الشيعية في لبنان والذي تعود اصولهم لمنطقة جبل عامل والعراق وايران والذين تواجدوا في المنطقة الممتدة بين نهر الاولي في الشمال الى الجليل في الجنوب في المنطقة التي تعرف باسم جبل عامل وسكن اخرون في القسم الشمالي من سهل البقاع ويعود تاريخ العلاقة بين اللبنانيين ونظرائهم الايرانيين الى القرن الثاني عشر، ولقد لعبت عوامل الاضطهاد والظلم والعنت التي واجهها الشيعة في جبل عامل مضافة للاضطهاد الذي ميز تاريخ الشيعة بشكل عام وشيعة لبنان بشكل خاص وكان للسياسات المتبعة من لدن السلالات الحاكمة والانظمة المتعاقبة اثر كبير في رسم معالم هوية شيعية متمايزة ومختلفة فلقد عانى شيعة لبنان من حكم المماليك (١٢٨٢-١٥١٦) ومن ثم الحكم العثماني وعلى الرغم من ان العامليين استفادوا من تسلم الصفويين الحكم في ايران واعلانهم بلاد فارس كدولة شيعية إذ ساعد علماء جبل عامل على تحول غالبية الايرانيين من المذاهب السنية الاربع للمذهب الجعفري وتبوأ عدد كبير منهم مراتب دينية سامية في الدولة الصفوية وبعد الحرب العالمية الاولى وتفكك الدولة العثمانية أضحى شيعة لبنان جزءا من دولة لبنان الكبير في العام ١٩٢٠ ولكن دون أي دور

سياسي ولقد خاب املهم إذ كانوا يرغبون بالانضمام لسوريا ولم يكن الزعماء الشيعة ومعظمهم من رجال الاقطاع ليأملوا بان يضطلعوا بأي دور سياسي بارز في الحياة السياسية اللبنانية [١].

لقد كانت دولة لبنان الكبير مستندة على التمثيل النسبي المضمون لمختلف الاقليات الدينية وعلى هذا الاساس أصبح التوزيع الرقمي للأقليات الدينية مسألة حساسة وسريعة الانفجار ومصدراً لانعدام المساواة والعدالة، ولقد تعرضت الطائفة الشيعية لمزيد من الظروف المتدنية وخضعت لحياة تفتقر لأي تنظيم اجتماعي جديد أو اقتصاد قابل للنمو ولقد أدى مثل هذا الوضع إلى حرمان الشيعة وتهميشهم في ظل النظام السياسي اللبناني ولقد اعتمد النظام اللبناني على احصاءٍ اجري في العام ١٩٣٢ وأضحى الشيعة بموجبه بمثابة الطائفة الثالثة في البلاد عدديا بعد كل من الموارنة* والسنة وحينما استقل لبنان في العام ١٩٤٣ بموجب الميثاق الوطني بين الاقلية السنية والمارونية من جهة والحكومة الفرنسية من جهة اخرى واصبح بمثابة الاساس لاستقلال لبنان وضمن هذا الميثاق الوطني حصل الشيعة على منصب رئيس مجلس النواب الرمزي شيئاً فشيئاً بدا الشيعة يشعرون بالاستياء وذلك لاستثنائهم من السلطة السياسية في ظل غياب أي فرصة ملموسة لبلوغهم السلطة او المشاركة بشكل فاعل فيها.

كانت الظروف السياسية والاقتصادية التي عانى منها الشيعة قد دفعتهم لتبني ما يمكن تسميته بأيدولوجيات التغيير مطالبين بمراجعة شاملة ودقيقة للنظام السياسي اللبناني وعلى مر السنين اضحت الطائفة الشيعية الطائفة الاسرع تكاثراً في لبنان بأعلى معدلات الولادة وأقل نسب هجرة وبدأ الشيعة اللبنانيون أكبر مجموعة سكانية كانت في اسفل الهرم الاقتصادي والاجتماعي بالمطالبة بمكان لهم في توزيع السلطة والغنائم ولقد ادت ظروف

الحرمان السياسي والاقتصادي الى تمييز واضح بالنسبة للمراقب بين مناطق الجنوب المحروم ومناطق الساحل والجبل المزدهر الامر الذي جعل الهيكلية اللبنانية غير قادرة اقتصاديا واجتماعيا على استدامة أي تنمية وبالتالي فهي ليست قابلة للنمو الا اذا قامت الحكومة بمواجهة مثل هذا التمييز بشكل سريع وبناء [٢].

لقد كان للدور الذي لعبه السيد موسى صدر الدين الصدر (١٩٢٨-) منذ بداية وصوله للبنان في العام ١٩٥٩ محورياً وأساسياً في احداث نهضة فكرية وحركية عند شيعة لبنان فلم يقتصر دوره على الوعظ والارشاد الديني بل عمل على لعب دور فاعل يتجاوز الاطر الدينية الامر الذي جعله في صدام مع القوى التقليدية التي احتكرت تمثيل الطائفة طيلة عهود ما بعد الاستقلال ولقد شرع الامام الصدر في ايجاد الاطر الوطنية والتنظيمية الجامعة لأبناء الطائفة والذين توزعوا على الاحزاب القومية واليسارية والفصائل الثورية الفلسطينية.

وحين تشكل المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في ايار من العام ١٩٦٩ تولى الامام الصدر رئاسته ولقد أعلن منذ البداية بان مثل هذا التنظيم لن يفرق بين المسلمين وكان هذا التنظيم بمثابة محصلة منطقية للاستنهاض الشيعي العام والذي نجح الامام في احداثه مستقطباً الغالبية الساحقة من جمهور الطائفة الشيعية [٣].

لقد تمكن الامام الصدر من بلورة احساس بالهوية الشيعية واعتزاز بالتقاليد الاسلامية الشيعية بمعناها الاوسع واوجد لدى أوساط الطائفة شعورا بالاستياء من وضعهم المتدني في المجتمع اللبناني وأثار الاعتقاد بانهم يستطيعون فعلاً فعل شيء في النظام السياسي اللبناني عن طريق العمل السياسي غير الثوري وعلى هذا الاساس فقد وضع الامام الصدر الاسس لعدة من المؤسسات التعليمية ومراكز التدريب المهني والمستشفيات

ومؤسسات الخدمة الاجتماعية لجعل الشيعة منسجمين مع بقية المتعلمين والقطاعات المدربة والتي تمتلك خبرة في المجتمع اللبناني.

كما أضحى وضع جنوب لبنان متأزما مقارنة بباقي مناطق لبنان سيما بعد هزيمة الخامس من حزيران من العام ١٩٦٧ وذلك عندما ضمت اسرائيل بالقوة العسكرية غزة والضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان وأضحى لبنان هدفاً للاعتداءات الاسرائيلية وهذه الاعتداءات دفعت الشيعة للهجرة الى بيروت سيما بعد ان خسروا منازلهم و واجهوا خسائر اقتصادية فادحة بالنيابة عن مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية ولقد اثرت مثل هذه المواقف على تعبئة الشيعة وتطرفهم [٤].

لقد كانت ميزة الحركة النى أطلقها الامام الصدر في كونها نجحت في تعبئة المجتمع حتى اندلاع الحرب الاهلية اللبنانية في العام ١٩٧٥ والتي سهلت ظهور أول ميليشيا شيعية في حركة امل العام ١٩٧٥ ومن ثم حزب الله في العام ١٩٨٢ وفي الوقت الذي سعت فيه حركة امل الى حماية المجتمع الشيعي من مقاتلي منظمة التحرير والقوات الاسرائيلية والميليشيات المسيحية والسنية الامر الذي اعطى للشيعة صوتا ومكانة في عقدي السبعينات والثمانينات فان حزب الله قد سعى إلى اعطاء دور وبصمة كبيرة في حضور الشيعة اللبنانيين في الوعي العالمي بتركيزه على بلورة ايدلوجية دينية مستوحاة من الثورة الايرانية وعلى حرب العصابات ومقاومة الوجود العسكري الامريكي أولاً ومن ثم القوات الاسرائيلية في لبنان.

لقد سد السيد موسى الصدر الفراغ القيادي الذي كانت تعاني منه الطائفة حينها وأضحى بعد اختفائه باعثاً على الخروج من المظلومية التاريخية التي كانت ترزح تحتها. لقد جاءت ولادة حزب الله في بيئة لبنانية تعاني من التشتت والحرب وعدم الاجماع على الهوية ليكون الحزب جوابا شافيا مما تعانيه الطائفة من حرمان، وكان بمثابة الجواب الطبيعي لشباب الطائفة والذين كانت لديهم تطلعات وطنية وفوق وطنية بدءاً من التحرر من الاحتلال مرورا بالعتق من الحرمان وانتهاءا باقامة الدولة العادلة.

لقد بدأ ظهور حزب الله في العام ١٩٨٢-١٩٨٥ وكانت ولادته امنية عسكرية مدشناً بذلك مواجهته للاحتلال الصهيوني في منطقة خلدة جنوب بيروت، وتشكلت نواته الاولى من مجموعات اسلامية تنتمي لأطر مختلفة من حزب الدعوة وحركة امل فضلاً عن مجموعات من العلماء ولجان اسلامية ومستقلة و وجد جميع الذين تأثروا بفكر الثورة الاسلامية في ايران بان المرحلة تتطلب منهجاً جديداً وأساليب عمل مختلفة لتصعيد المواجهة مع الاحتلال الصهيوني فتداعى هؤلاء لتكوين اطار واحد وأنشأوا هيئة تأسيسية عرفت بلجنة التسعة ضمت ممثلين عن مختلف الشرائح الجديدة وكانت مهمة هذه اللجنة ايجاد الاسس الخاصة بالمنهج الذي سوف يعمل على أساسه التيار الاسلامي فتوصلت إلى ايجاد الاسس لإنشاء حركة جديدة من جميع هذه الاطراف تحت اسم حزب الله [٥].

لقد أدت جملة من الظروف السياسية لانشقاق عناصر كثيرة من حركة امل وذلك منذ العام ١٩٧٨ وهو التاريخ الذي عاد فيه مؤسس الحزب السيد عباس الموسوي من النجف الاشرف وعمله على تأسيس حوزة الامام المنتظر(ع) ومن ثم عمله على تأسيس اللجنة الداعمة للثورة الاسلامية ولقد عدت هذه اللجنة بمثابة النواة الاساسية لتشكيل الحزب وبغية الالتحام بالحركة الاجتماعية الناشئة حديثاً أسس السيد عباس الموسوي

حزب الله مستنداً على الآية القرآنية الكريمة ":إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ " (٦).

لقد اضطلعت إيران ومنذ البداية بدور محوري في تأسيس الحزب ودعمته مالياً ولوجيستيا وزودته بالمساعدة المالية والتنظيمية والعسكرية .

لقد كانت صفة الحزب بذاتها صفة مذمومة وممقوتة عند الاعضاء المؤسسين الاوائل إذ تأخرت تسمية حزب الله حتى العام ١٩٨٤ وكان السبب الأساسي لرفضه صفة الحزب هو رغبة قياداته في بادئ الامر ان تكون عضويته مفتوحة للمسلمين جميعا وكذلك الانفتاح على القوى السياسية اللبنانية التي تتبنى نهج المقاومة عندما انشئ مكتب سياسي للحزب وتقرر اصدار صحيفة اسبوعية هي العهد وكانت قضية رفض الحزب تسميته أو وصفه بصفة الحزب في بدايات التأسيس تعود لكونه مؤمناً بان الامة هي اطار الحزب إذ لم يكن يعتمد على عضوية معينة فعد بابه مفتوحاً لكل الشيعة وحتى لغيرهم من المسلمين اذ ما ارتضوا العمل بمبادئ الحزب وعلى هذا الأساس فقد اطلق تسمية((امة حزب الله)) ولكنه شيئاً فشيئاً تخلى عن هذا الاسم والشعار لأسباب تتعلق بوضع لبنان وبعد ان تحول الحزب لكيان سياسي وعسكري ذو هيئة تنظيمية هرمية.

يمكن القول ان طبيعة العلاقة بين حزب الله والحكومة اللبنانية تحمل في طياتها أصلاً طابع التنافر والذي ابتدأ حاداً ثم خف تدريجيا حتى غدا يتمتع بقدر من التجاذب في حقبة حكم الرئيس اميل لحود (١٩٩٨-٢٠٠٦) أي معركة حرب التحرير ومن ثم تحرير كامل الجنوب اللبناني في ايار من العام ٢٠٠٠.

المبحث الثاني: علاقة حزب الله مع النظام السياسي اللبناني

لقد كانت بدايات نمط العلاقة بين حزب الله والحكومة اللبنانية قد تمثلت باتباع سياسة متطرفة عنيفة وخطاباً قاسياً عكس موقفاً متصلباً من النظام السياسي بشمولية إذ نظر الى الحكومة اللبنانية على انها كافرة كما ان النظام السياسي اللبناني هو نظام خلقته الامبريالية الغربية لتدمير شخصية المسلمين في هذه البلاد وتحويلها لشخصية غربية [٧].

لقد أسهم اتفاق الطائف في العام ١٩٨٩ بإضفاء الطابع الرسمي على المكاسب التي حققها الشيعة في الحرب الاهلية وفي طليعتهم بطبيعة الحال حزب الله بتأكيد وجودهم في الساحة السياسية اللبنانية وتمت كتابة المشاركة الشيعية الواسعة في اتفاق الطائف والذي يخدم وعلى نحو أساسي ترتيب دستوري جديد بوصفه جزء من حصة اكبر لجميع المسلمين في لبنان، وعلى الرغم من إن هذا الاتفاق سمح بإعادة ترتيب مؤسسات الدولة بصيغة جديدة ولكنه أبقى على المشكلات البنيوية داخل الدولة وفي مقدمتها البنية الطائفية والتي تغدو غير قادرة على انتاج دولة بمعناها الحديث والمتعارف عليه، وعلى الرغم من ان حزب الله اعترض على اتفاق الطائف وأصدر دراسة تناولت نقداً للاتفاق في شقيه الامني والسياسي ولكنه لم يقم عمليا على عرقلته، واستفاد منه بما أتاحته له بنوده دون أي التزام تجاهه، إذ غدت المقاومة أحد البنود الاساسية في الميثاق الوطني اللبناني وتم تكريس استثناء حزب الله من كونه سلاح ميليشيا يجب تسليمه للدولة. لقد امن حزب الله بان اتفاق الطائف يشكل تكرارا للخطيئة التاريخية التي ارتكبت في العام ١٩٤٣ اي صيغة الميثاق الوطني والذي كان العامل الاساسي وراء تفكك الدولة اللبنانية وتدميرها .

لابد هنا من الالمام بطرف بنظرية ولاية الفقيه والتي تنسب للإمام الخميني الذي احياها في العصر الحديث مؤمنا بضرورة اقامة جمهورية اسلامية فمن منظور الامام الخميني (١٩٠٢-١٩٨٩) كانت فكرة انتظار عودة الامام المهدي عليه السلام لإقامة العدالة في الارض فكرة غير معقولة ولا يمكن الادعاء بان القدرة الالهية قد حصرت صلاحية الشريعة الاسلامية في مائتي عام اي في الحقبة التاريخية الممتدة من وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم وحتى الغيبة الصغرى في حين ان وجود هذه الشريعة تفترض وجود حكم اسلامي لتطبيقها كما ان الامام الخميني اتخذ من ضرورة الحكم لنشر العدالة وللتعليم والتثقيف وحفظ النظام ورفع الظلم والذود عن بيضة الاسلام مؤشراً على الحاجة الملحة لدولة اسلامية لا يمكن أن يغفل عنها الله ببساطة.

والحاجة لوجود دولة اسلامية تحكمها الشريعة لا يمكن أن يقودها سوى شخص متبحر في الشريعة مثل الفقيه وتبحر الفقهاء في الدين يخولهم وراثة السلطة السياسية والدينية للنبي صلى الله عليه واله وسلم والائمة عليهم السلام أثناء الغيبة الكبرى [٨].

وعلى الرغم من تفويض سلطة الامام الغائب عليه السلام السياسية للفقهاء ففي الامكان رؤية دور الامام الواقعي الوظيفي كذروة للتطور التاريخي لمفهوم النائب العام والذي قدمه العلامة زين الدين بن علي الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني فقد عد العلماء بمثابة الوارثين الشرعيين لسلطة الامام الغائب الدينية وهم مؤتمنون على حقوق الامام الدينية الخاصة كجمع اموال الزكاة وتوزيعها واعلان الجهاد الدفاعي الا ان الفقهاء لم يتولوا وظائف النائب العام النظرية الا وفي اواخر القرن الثامن عشر.

ولقد ايد فقهاء ومراجع عدة الدور الفقهي الموسع والذي يمكن ان يقوم به الفقيه ومنهم المحقق الكركي الثاني المتوفي في العام ١٥٣٤ والشيخ احمد النراقي المتوفي في

العام ١٨٢٩ والشيخ مرتضى الانصاري زعيم الطائفة المتوفي في العام ١٨٦٤ ومع ذلك فان هؤلاء الفقهاء لم يطرحوا دورا سياسيا للولي الفقيه كما طرحه فيما بعد الامام الخميني. ولقد شهد الواقع التاريخي ان الفقهاء لم يمارسوا وظائف الامام المعصوم المتعلقة بالسياسة وكانت مساهمة الامام الخميني الرئيسة في ميدان الفقه بسط التفويض على جميع وظائف الامام السياسية بما فيها الوظائف التنفيذية وعلى هذا الاساس امن الامام الخميني بان هنالك واجباً يقع على عاتق الفقهاء الا وهو العناية بمشكلات الاسلام السياسية والاقتصادية والثقافية والقانونية وعدم الاقتصار على الامور الشعائرية كما هو الحال في السابق.

وعلى هذا الاساس يصبح السعي وراء اقامة الدولة الاسلامية واجباً مفروضاً على الفقهاء فقط ويحتفظ الفقهاء بحق ممارسة السلطة وهو ما يعني عدم الايمان بشرعية الحكام الزمنيين، وليس لاحد أي حق شرعي في أن يحكم إلا نائب الامام الغائب عليه السلام أو الولي الفقيه [٩].

وإذا ما أخذنا الاهمية الروحية لولاية الامام الخميني الدينية بعده الاعلم في الفقه وفي المجال السياسي يسهل فهم تشدد حزب الله واعلانه الالتزام بالولاية وكون هذا الالتزام لا يمثل التزاماً سياسياً برئيس دولة إذ انه التزام فكري بشخصية اسلامية مقدسة وبخلفائها والذين تعد اوامرهم بمثابة حقائق ثابتة وجزء من الالتزام الديني .

ولا يزال الفكر السياسي لحزب الله يعد الولي الفقيه وبالذات الامام الخميني حاكماً دوليا للامة (ولي امر المسلمين) مقدرا وملهما من السماء ونائبا معينا للإمام الثاني عشر اثناء غيبته و ولاية الولي الفقيه هي في حقيقة الامر امتداد لولاية النبي والائمة.

لقد التزم الحزب ومنذ بداية تأسيسه بمبادئ ثلاث وهي ان:

الاسلام هو المنهج الكامل والشامل والصالح لحياة افضل ويؤمن الحزب بقيام دولة اسلامية وان كانت الظروف الخاصة بلبنان لا تسمح بجعل هذا الشعار موضع التطبيق ومقاومة الاحتلال الاسرائيلي بعده خطراً على الحاضر والمستقبل؛ وأخير الالتزام بالقيادة الشرعية للولي الفقيه كخليفة للنبي والائمة وهو الذي يرسم الخطوط العريضة للعمل في الامة وامره ونهيه نافذان.

ولا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته كما لا علاقة لموطن المرجع بمرجعيته فقد يكون عراقيا او ايرانيا أو لبنانياً أو كويتياً والامام الخميني كولي على المسلمين كان يدير الدولة الاسلامية في ايران كمرشد وقائد وموجه ومشرف على النظام الاسلامي ويحدد التكليف السياسي لعامة المسلمين في البلدان المختلفة ولا سيما فيما يخص معاداة الاستكبار والحرص على استقلال الموارد الذاتية لبلدان المسلمين عن سطوة المستكبرين والعمل من أجل الوحدة الإسلامية [١٠].

والصلاحيات المنوطة بالولي الفقيه تتجلى برسم السياسات العامة للامة الاسلامية واما التفاصيل فمتروكة للأحزاب الاسلامية التي تنشأ في بلدان اسلامية مرتبطة بالولي الفقيه ولما كان حزب الله حزباً لبنانياً فالتفاصيل اللبنانية متروكة له بمعنى القيام بالإجراءات المناسبة والعمل السياسي اليومي والحركة الاجتماعية، والجهاد ضد الاحتلال الاسرائيلي بتفاصيله .

لقد سعى حزب الله الى المواءمة بين اسلامية المنهج ولبنانية المواطنة ولكن التساؤل الاساسي الذي يطرح هنا هو كيف يمكن التمييز بين المنهج الاسلامي ومحدداته وأولويات المواطنة وهو الامر الذي يثير جملة من الاشكاليات بالنسبة للحزب ومناصريه

ولنأخذ مثلاً قضية مشاركة الحزب في الانتخابات النيابية لأول مرة في العام ١٩٩٢ والذي احتاج لنقاش مستفيض داخل مجلس شورى الحزب ورجحت فيما بعد المشاركة إذ عدت ايجابية بأكثرية عشر أصوات ومعارضة عضوين، إذ وجد مجلس الشورى ان المشاركة تحقق جملة من المصالح التي ترجح الايجابيات على السلبيات، لكن مشروعية الاقتراح لم تأخذ لم تأخذ حيز الاقتناع الكامل والتنفيذ الا بعد ان استفتي الولي الفقيه وعندما أجاز وأيد حسمت المشاركة في الانتخابات النيابية ودخل المشروع في برنامج والية الحزب [١١].

ولقد بررت ادبيات الحزب مثل هذا التزام بولاية الفقيه واوامرها بكونه لا يحد من دائرة العمل الداخلي للحزب داخل لبنان وبناء العلاقات المختلفة كما لا يحد من دائرة العلاقات والتعاون الاقليمي والدولي مع أطراف يتقاطع الحزب معها في الاستراتيجية والاهداف أحيانا، وهو يعد ان لا حاجة بأي حال من الاحوال الى متابعة يومية من الولي الفقيه وأخذ الاذن والسؤال لإضفاء الشرعية على الفعل أو عدمه وينحصر فقط إذا واجهت قيادة الحزب قضايا كبرى تعد مفصلاً رئيسياً تتطلب معرفة الحكم الشرعي فيها [١٢].

كانت اول مشاركة للحزب في الانتخابات هي الانتخابات النيابية التي جرت في العام ١٩٩٢ اي اول انتخابات نيابية بعد نهاية الحرب الاهلية وكانت أهم مطالب الحزب الانتخابية هي تحرير لبنان من الاحتلال الصهيوني والغاء الطائفية السياسية وتعديل القانون الانتخابي حتى يصبح أكثر تمثيلاً للشعب وضمان الحريات السياسية والاعلامية وتطبيق الاصلاحات الادارية والتنموية والثقافية والاجتماعية [١٣].

ساهمت العمليات التي قادها حزب الله في تحقيق نصر ميداني على اسرائيل إذ اعتمد على عنصر المفاجاة وساعده بذلك جهاز استخبارات مُدرب وكانت أشهر عملياته

معركة انصارية في العام ١٩٩٧ عندما استدرج جنود طائرة الهليكوبتر الاسرائيلية ومن نخبة القوات الخاصة ومن ثم ابادتهم جميعاً، وكانت اسرائيل قد شنت قبل هذه العملية العملية التي عرفت باسم عملية عناقيد الغضب اثر سلسلة عمليات عسكرية ناجحة للمقاومة.

وكان شمعون بيريز (١٩٢٣-٢٠١٦) يستعد لخوض الانتخابات وأدرك ان استمرار الوضع في الجنوب سوف يؤدي لخسارته لذلك صمم ان يقوم بحملة عسكرية واسعة على لبنان وعلى المقاومة وبدأ العدوان برا وبحرا وجوا ليشمل مناطق في كل المحافظات اللبنانية ولكن ما حدث في بلدة قانان الجليل كان مفجعاً إذ قصفت المدفعية الاسرائيلية مقر قوات الامم المتحدة والذي التجأت اليه الاسر اللبنانية مما أدى لاستشهاد (١١٨) مدنياً وجرح أكثر من مئة في مجزرة بشعة بثت تفاصيلها وسائل الاعلام العالمية ولقد رد الحزب ومقاومته على هذه الغارة بالصواريخ والتي دخلت في هذه المعركة كمعطى جديد على المستوطنات اليهودية في شمال اسرائيل وأسفرت عن خسائر كبيرة ونزوح لعدد كبير من المستوطنين، ولقد ترافقت مع جهود المقاومة الاسلامية بقيادة حزب الله جهود سياسية ديناميكية قادها الرئيس رفيق الحريري(١٩٤٤-٢٠٠٥) فامكن التوصل لما يعرف باسم تفاهم نيسان في العام ١٩٩٦ حيث اتفق الطرفان على ايقاف العمليات العسكرية ضد المناطق السكنية واحتفظ حزب الله بحق الرد وقصف المستوطنات في حال قصفت اسرائيل المناطق السكنية اللبنانية وهكذا اثمرت عناقيد الغضب عن نتائج عكسية بالنسبة لإسرائيل فهزم شمعون بيريز في الانتخابات وعزز حزب الله قاعدته الشعبية وانتزع شرعية مقاومته وأخترق الحصار الاعلامي والسياسي وأوصل صورة ناجحة لنموذج مقاوم متميز في مواجهة إسرائيل [١٤].

وحتى نفهم الكيفية التي واءم بها حزب الله بين منطلقاته العقائدية وبين متغيرات الواقع السياسي اللبناني وجب علينا ان نعرف ان الحزب يعد واحدا من الاحزاب السياسية التي اتقنت فهم السياسة وممارستها وامنت بما هو ممكن و واقعي في التعامل مع المعطيات الخارجية ولقد تميز الحزب بمزاوجة العقائدية والواقعية السياسية فعلى الرغم من التزامه بالأصول العقدية التي تنهض عليها أيدولوجيته الحزبية الا انه في ذات الوقت خاض المجال السياسي وابدى درجة عالية من الفهم للواقع اللبناني وتعقيداته.

فمثلا يؤمن الحزب بوجوب اقامة دولة اسلامية يغدو السعي لإقامتها بمثابة واجب شرعي ويؤمن بواحدة من تفرعات المذهب الامامي الاثنا عشري الا وهو نظرية ولاية الفقيه ومع ذلك يعترف بالنظام السياسي اللبناني بعد ان كان يقارعه الخصومة في بدايات التأسيس ويشارك بإيجابية في الحياة السياسية والنيابية وقد تكون هنالك حالات مماثلة لأحزاب اسلامية تشارك بفاعلية في السلطة الا ان الحالة مع حزب الله تختلف بدرجة كبيرة عن اي حزب اسلامي اخر فنظرية ولاية الفقيه لا تعترف بغير نظام الامامة نظاماً سياسياً شرعياً طالما كان الفقيه جامعاً للشرائط ومتولياً لسلطات الامام الغائب في زمن الغيبة ولا يملك أي نظام سياسي شرعية دينية أو سياسية بل وتعد أي سلطة اخرى غاصبة لحق الامام ولمنصبه حتى وان وصلت للحكم عن طريق الرضا الشعبي او الانتخابات النزيهة [١٥].

ولعل الحالة اللبنانية تمثل واحدة من الاستثناءات التي جعلت واقعية حزب الله واضحة وجلية ذلك ان نظام الحكم اللبناني هو نظام يتقاسم المسلمون والمسيحيون ادارته بل ويمنح المسيحيين المنصب الاعلى في الدولة الا وهو رئاسة الجمهورية وهو الامر الذي ينتهك واحدة من الثوابت العقائدية لدى المذهب الامامي الاثنا عشري الا وهو عدم

جواز تولية غير المسلمين امور المسلمين، وبمقابل هذه المعوقات التي قد تحول دون قيام الحزب بالمشاركة في الحياة السياسية اللبنانية الا انه جمع بين متناقضين فهو من جهة لم يتخلى عن نظرية ولاية الفقيه واقامة الدولة الاسلامية الا انه سعى لسد الفجوة بين الهدف المثالي والواقع العملي وهذا الواقع العملي هو الميدان السياسي، كما تعامل الحزب بواقعية مفرطة في قضية صراعه مع اسرائيل فعلى الرغم من ايمانه بان صراع مع اسرائيل هو صراع وجودي وحضاري لا يتوقف بمجرد تحرير الاراضي اللبنانية المحتلة ومن ضمنها الشريط الحدودي وهو ما تم فعلا في ايار من العام ٢٠٠٠ بل يشمل السعي نحو تحرير الاراضي العربية الاسلامية التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٤٨ ورغم هذا الخطاب التعبوي والتأكيد عليه في ادبيات الحزب الا انه تعامل بواقعية وبراغماتية عالية حينما اشترك في صياغة تفاهم تموز في العام ١٩٩٣ وتفاهم نيسان في العام ١٩٩٦ واللذان كانا يقضيان بعدم مهاجمة اسرائيل خارج المناطق المحتلة في لبنان أي انهما كانا يقضيان بالحفاظ على تعريف للصراع بانه صراع لبناني اسرائيلي أو صراع حدودي وليس صراعا عربيا صهيونياً [١٦].

لقد استوعب حزب الله الاحداث التي تلت اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري(١٩٤٤-٢٠٠٥) وصدور القرار الدولي ذي الرقم ١٥٥٩ والذي نص على تجريد الحزب من سلاحه ولاسيما انه اتى متفاعلاً ومكملاً لجملة من النصوص والمطالبات الموجودة في الداخل اللبناني منذ اتفاق الطائف في العام ١٩٨٩ والتي جاءت بذريعة نزع سلاح الميليشيات وعدم الحاجة لوجود سلاح حزب الله بعد تحرير جنوب لبنان في العام ٢٠٠٠وبدعوى ان امتلاك طرف سياسي للسلاح دون غيره يثير هواجس اطراف لبنانية لا تمتلك او لم تعد تمتلك ادوات عسكرية وكذلك ضرورة بسط سلطات وسلاح

الجيش اللبناني على كامل الاراضي اللبنانية ولقد أدى خروج الجيش السوري من لبنان الى حدوث تغيير في التوازنات السياسة الداخلية اللبنانية والتي كان يعتمد عليها حزب الله ولا سيما بعد أن افرزت الانتخابات النيابية عن اغلبية مريحة للقوى التي تختلف مع حزب الله في المواقف والاتجاهات السياسية ولقد تكيف حزب الله مع هذين المتغيرين بجملة من الخطوات لعل أهمها المشاركة في ائتلاف انتخابي مع قوى من حركة (١٤) اذار ولا سيما الحزب التقدمي الاشتراكي وتيار المستقبل وقراره المشاركة لأول مرة في الحكومة التي شكلها فؤاد السنيورة.

كما قبل الحزب بمناقشة قضية سلاحه في حوار وطني ولقد أدت هذه الخطوات في التقليل من الاحتقان الذي شهدته الساحة اللبنانية في تلك الحقبة وأدخلت حزب الله شريكاً في القرار السياسي مع اسباغ الشرعية على المقاومة في البيان الوزاري والذي حصلت بموجبه الحكومة على الثقة في الندوة البرلمانية. وبدلاً من التركيز على شعار نزع سلاح حزب الله برز مفهوم البحث عن استراتيجية دفاعية وطنية يكون لسلاح المقاومة موقع فيها وهو الامر الذي وسع من حركة حزب الله وجعلته يتفاعل مع محيط اجتماعي وسياسي كبير مخففاً من شعاراته المتصلبة والتي أطلقها بوجه النخبة الحاكمة.

واذا ما كانت هذه هي ادوات التجاذب التي جمعت حزب الله بالدولة في لبنان فقد كانت هنالك بالتأكيد جملة من أدوات التنافر لعل أبرز اسبابها ان الخلفية الثقافية والفكرية والفقهية للحزب والتي تثير جملة من الاشكاليات والتي من أهمها مدى التلاؤم بين الاعتقاد بولاية الفقيه العامة ومشروع الدولة الوطنية الحديثة والتي تتناقض حتماً مع الدولة اللبنانية بشكلها الحالي القائم على ديمقراطية توافقية بين طوائف متنافرة، وعلى الرغم من الحزب يؤمن وعلى لسان زعيمه السيد حسن نصر الله (١٩٦٢-) على وجود

نظرية للدولة ومشروع يؤسس لهذه الدولة على خلفية فكرية وفقهية ويستند على خطاب سياسي يؤمن بمعايير اخلاقية تندرج تحت تعابير مثل قدسية الموقف والانتماء والنبل والشرف ومعاير الدين ومهيار القدسية والدنس كما يستخدم الحزب تعابير اقصائية لنبذ أو التعريض بمواقف الاخرين المختلفين عن توجهاته الفكرية ناهيك عن التخوين كمقدمة بحكم المنطق الديني الاحادي أي منطق الفرقة الناجية الوحيدة وهو ما يفضي للتكفير وهو ما يدل على تناقض واضح مع مشروع الدولة الحديثة في لبنان دولة يتساوى فيها المواطنون بلا تمييز مذهبي أو ديني أو عرقي ومثل هذا الخطاب المتعالي يجد أسسه في واقع الامر من الايمان المطلق بنظرية ولاية الفقيه وهو اعتقاد ينتظم في حكم التكليف الشرعي والذي يتضمن العبادة والسياسة معاً ويؤمن بطاعة الولي الفقيه بعده حائزاً على صلاحيات الامام المعصوم عليه السلام كاملة غير منقوصة ومن هنا تنبع قدسية الممارسة السياسية عند المنتمي للحزب وهو ما يدفعه أي المنتمي للنظر للآخرين كمخطئين وضالين وأشرار ويحق للمتابع والمهتم بشأن حزب الله ودوره في لبنان ان يتساءل عن طبيعة العلاقة التي تربط ما بين الولي الفقيه في ايران والقيادة السياسية للحزب في لبنان وما هو حجم العلاقة بين الجانب الكلي والتفصيلي الذي يمتلكه الولي الفقيه وما هو متروك من حرية وهامش للحركة بالنسبة للحزب وقيادته.؟ لقد حاول الحزب الاجابة عن مثل هذه التساؤلات بانه يقوم غالباً بحالة من المواءمة بين ما أسماه لبنانية الموطن وأسلامية المنهج ، ان من الصعوبة بمكان تحديد ما ينتمي للبنانية الموطن وما يدخل في اطار اسلامية المنهج وذلك لسبب بسيط وهو ان لبنان الوطن بلد يضم في تركيبته العددية والطائفية ما يشجع على التحول لحزب طائفي أي ان الوضع لا يشجع على تحديد خيارات المواطنة بشكل كامل، سيما وان حزب الله انخرط في لعبة الطائفية

السياسية في لبنان وعمل على استثمارها وبدأ بالترويج لما أسماه بالديمقراطية التوافقية أو دولة الشراكة إلى جانب مصطلحات اخرى كالدولة العادلة والدولة القوية والشراكة التوافقية وهي امتداد لما اطلق عليه المعادلة الذهبية والتي أضحت جزءا من البيان الوزاري لحكومتي العام ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ (الجيش الشعب والمقاومة) وهذه جميعها تؤكد على التلازم ما بين المقاومة كسلاح لا يخضع للدولة وحق حزب الله في الشراكة الكاملة في الدولة كأداة سلطة وحكم بما يسمح له باستخدام الفيتو على قراراتها أو ان تتبنى الحكومة قراراته والتي يرى انها حيوية ومهمة لاستمراه كفصيل مسلح أو على الاقل ان لا تعارضها بمعنى ان حزب الله يسعى لان تكون الدولة في لبنان خاضعة لسلاحه وتتلاءم مع حاجاته الامنية رغم ان أدبيات الحزب تؤكد على ان دور الحزب في لبنان لن يكون جزءا من مشروع سلطة بل مشروع مقاومة للحماية والدفاع عن لبنان وبهذا فان سلاحه لن يكرس للتحرير فحسب بل للحماية والدفاع ايضا وهي وظيفة مستمرة ولا نهائية تقوم بها في العادة الجيوش الوطنية لا الاحزاب والحركات التي تنتمي لها شريحة واحدة من المواطنين بل وفصيل سياسي من هذه الشريحة، لقد طرح الحزب معادلة الحماية للدفاع عن لبنان أي التكامل بين المقاومة والجيش والشعب ولكن الشعب في طروحات الحزب يمثل شعب المقاومة أي انصار حزب الله دون سواهم وان المقاومة اسم مقصور على سلاح حزب الله وعناصره دون سواهم وهو لا يشمل باي حال اولئك الذين يحملون سلاحاً ويواجهون اسرائيل ولكنهم ليسوا أعضاء في الحزب او غير متعاطفين معه او مع طروحاته الفكرية وبذلك تكون المقاومة توطيناً دائماً لسلاح حزب الله في داخل بنية الدولة وعقيدتها [١٧].

بقي الحزب جزءا من المعادلة السياسية في لبنان والتي تعني فيما تعنيه الابقاء على الطائفية السياسية والتي وان كان الحزب يرفع شعار الغائها الا ان هذا الشعار بالنسبة له لم يكن يعني ايجاد بديل مدني للحياة السياسية في لبنان بل بالعكس يعني التمهيد الفعلي له لتمكين العنصر العددي في الاجتماع السياسي عن طريق الديمقراطية العددية وكبديل عن الديمقراطية التوافقية.

بمعنى ان الحزب ينتقد الطائفية السياسية من موقع المعتقد الديني لكنه يمارسها فعلا عن طريق وجود مخطط أو برنامج يعتمده سياسياً وثقافياً واجتماعيا وتربويا وهن طريق اقامة تحالفات بينه وبين الطائفيات السياسية الاخرى .

ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان تلغى الطائفية السياسية ما لم يكن هنالك ايمان بالفصل بين ما هو ديني وبين ما هو سياسي فلا يستقوي المدني بالسلطة الدينية ولا تضطر السلطة الدينية لممالأة السلطة السياسية، ان ايمان حزب الله بالولاية العامة المطلقة للولي الفقيه وبالدولة الممهدة لظهور الامام المنتظر عليه السلام لا يتلاءم مع بناء دولة حديثة إذ تغدو الدولة في لبنان بمثابة دولة مؤقتة سداها الطائفية ولحمتها التوازنات التي تنشأ بين مجموعات مذهبية ويعمل الحزب بإطارها وضمن الياتها فهي الحقل الممكن للعمل السياسي اليومي أي للتحالفات والتكتيكات والتفاهمات بين الاكثريات الطائفية ذات الوزن، فهل تتوافق سلوكيات حزب اله مع بناء دولة و وطن ومواطنين؟ والواقع ان لا وجود لدولة حديثة في لبنان إلا بتوسيع الدائرة المدنية في ميدان العلاقة بين المواطن والدولة دون وسيط ديني أو طائفي يقوم بينهما في الحياة السياسية.

الخاتمة والاستنتاجات

تنشأ الاحزاب السياسية بغية تنظيم طبيعة العلاقة بين الافراد ومفردة السياسة والية السلطة مشاركة أو طاعة من جانب وهيمنة من جانب اخر، وفي المجتمعات التي لا تزال تفتقر للإجابات الحاسمة حول كثير من مفردات الحياة الانسانية تغدو الاحزاب العقائدية من ناحية بروزها وتنظيمها مسألة حتمية ولما كانت هذه الاحزاب تستند لعقيدة تتجاوز الاطار الزماني والمكاني يغدو الايمان بها متعارضاً في احيان كثيرة مع البيئات التي تحتضنها بدون ان يكون لديها تواءم كافٍ مع البنية السياسة القائمة، ان الايمان بمثل هذه العقيدة يجعل الفرد في حالة من التنافر مع بناه المجتمعية التي تتناقض مع عقيدته السياسية والتي تجعله ممتدا مع حالة سياسية قائمة في بلد اخر، وعين هذه الحالة نجدها في علاقة حزب الله مع الدولة في لبنان والتي كانت موضوع البحث.

لابد من القول ان هنالك جملة من الظروف السياسية والاجتماعية الي دفعت باتجاه تأسيس حركة اسلامية ثورية في لبنان في نهاية عقد السبعينات من القرن العشرين وكان الانشقاق الذي قادته الحركة الناشئة عن حركة امل وهي اولى التنظيمات السياسية الشيعية في التاريخ اللبناني المعاصر سببه العلاقة التي بدأت تتوطد بين حركة امل والحكومة اللبنانية واشتراكها في الحكومات التي تلت هيمنة حزب الكتائب على مقاليد الرئاسة، وهو ما عكس نظرة قاتمة كان يؤمن بها الحزب في نشأته لطبيعة الدولة في لبنان والتفاعلات السياسية التي تركتها التركيبة الطائفية التي اقرت في البلاد منذ العام ١٩٤٣، ومثل هذه العلاقة التي قامت على التنافر سرعان ما تغيرت بعد نهاية الحرب الاهلية اللبنانية(١٩٧٥-١٩٩١) لتصبح قائما على نوع من التجاذب الذي تمثل بقبول المشاركة في الانتخابات النيابية والذي جاء بعد استفتاء الولي الفقيه بشأن شرعية مثل

هذه المشاركة أو عدمها، ان تداخل الجانب العقائدي مع الجانب السياسي بالشكل الذي يجعل ان هنالك ضرورة لأخذ رأي المرشد الديني الاعلى في ايران بقضايا تخص الداخل اللبناني يترك تقييداً على حركة حزب الله بحيث يجعله بمثابة الوكيل لإيران في لبنان. وعلى الرغم من أن الحزب كان له دور أساسي ومحوري في عملية تحرير جنوب لبنان والسعي لتحرير كامل الاراضي اللبنانية وهو الامر الذي أكسبه زخماً من التأييد الشعبي والتلاحم الذي لم تحظى به حركة أو حزب سياسي لبناني من قبل، الا ان اصراره على احتكار السلاح في الجنوب واستعراضه في بيروت جلب عليه سخط قوى سياسية لبنانية كبيرة تخلت عن سلاحها بنهاية الحرب الاهلية، وبطبيعة الحال فان وجود سلاحٍ بيد طرف سياسي منفرد دون الاطراف الاخرى ينشأ حالة من التخوف من احتمالية التهديد باستخدام هذا السلاح في أي حراك سياسي داخلي يفضي لاختلاف بين حزب الله وطرف سياسي اخر رغم ان الحزب يعلن ان سلاحه موجه للعدو الصهيوني فقط، وان من شأن التزام الحزب بحركية سياسية داخلية وخارجية به ان يؤدي لإيجاد مجتمع بديل وشعب بديل لا يتقاسم ما هو مشترك مع المجتمع اللبناني، لقد سعت قيادة الحزب لان تملي على اللبنانيين مواقف سياسية نابعة من العقيدة الدينية التي يؤمن بها الحزب وهو ما أدى لبروز حالة وصاية سياسية ثقيلة على جهاز الحكم في لبنان يجعله متحملاً لتصورات سياسية جزئية، والحال ان هنالك تراثا عقديا وسياسيا لبنانيا ومن رحم المدرسة العاملية التي انبثق منها الحزب يؤمن بضرورات المشاركة السياسية وبولاية الامة على نفسها ولاية لا تقوم على الخضوع لفقيه واحد يتبع الولاء له الولاء لمواقفه السياسية دون الاخذ بعين الاعتبار البيئة الداخلية والاقليمية التي يمكن أن تؤثر سلباً على تبعات هذا الولاء. ان تحول أي حزب سياسي لقوة اقليمية تتجاوز حدود بلده ومن ثم سعيه لرسم سياسة

خارجية تتجاوز الدور الذي يمكن ان يلعبه صانع القرار السياسي الخارجي يعود بالضرر على الكيان الاقليمي للبلد ويعصف به في اتون الانضمام لمحاور اقليمية ودولية دون رغبة حقيقية من لدن شعب او قيادته السياسية، وهو ما يعني ان تكون البلاد رهينة لموقف سياسي يتخذه حزب واحد، ولا يستطيع المتتبع بأي حال من الاحوال انكار ما يتمتع به حزب الله من قدرة على المناورة والتحالف مع الخصوم في احيان كثيرة لإنقاذ الموقف السياسي في لبنان، ولكن رهن البلاد بمواقف سياسية تكون جزءا من التأثير الذي يتركه الولاء السياسي لبلد الولي الفقيه امر لا يمكن ان يفضي لحالة سياسية مستقرة في بلد عانى لعقدين من اتون الحرب الاهلية الطاحنة .

الهوامش:

١. حول تاريخ الشيعة في لبنان ينظر: سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل *عامل*، بيروت، الدار الاسلامية،ط١٤٢١،١/٢٠٠٢، ولذات المؤلف، معجم قرى جبل عامل، بيروت، دار التعارف،الطبعة الاولى،٢٠٠٦.ومحمد صفا ال جابر، تاريخ جبل عامل،بيروت، دار متن اللغة،الطبعة الثانية، (دون تاريخ). وغراهام فولر ورند رحيم فرانكي، الشيعة العرب المسلمون المنسيون، ترجمة: غيث يوسف محفوظ، بيروت، مركز الرافدين للحوار،٢٠٢١،ص:٢٦٠وما بعدها.

* الموارنة: يعد الموارنة أكبر الطوائف المسيحية في لبنان وأول مجموعة دينية مسيحية اعتنقت العقيدة الكاثوليكية في الشرق ولكنها حافظت في ذات الوقت على لغتها السريانية وتراثها الطقسي ككنيسة شرقية، ارتبط وجودها بتاريخ لبنان الحديث رغم ان جذورها تمتد لسوريا إذ تأسست في العام ٦٨٧ ولقد سميت بالمارونية نسبة للقديس مار مارون وهو راهب وناسك سرياني عد بمثابة شفيع خاص للطائفة. للتفصيل ينظر: سركيس أبو زيد، مار مارون والموارنة، نظرة تاريخية جديدة، بيروت، دار أبعاد للطباعة والنشر ٢٠١٥ .

٢. مسعود ظاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي، ، بيروت، دار الفارابي، الطبعة الاولى، ١٩٧٤، ص33: وحول المشاكل والمعوقات التي كانت تواجه مجتمع الجنوب في مطلع عهد الاستقلال ينظر، حسن فضل الله، حزب الله والدولة في لبنان، الرؤية والمسار، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠١٧، ص6:

٣. حول سيرة وحياة ومواقف الامام موسى الصدر، ينظر: فؤاد عجمي، الامام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان، بيروت، دار الاندلس، الطبعة الاولى، ١٩٨٧،ص ص:

٣٠-٥١، وكذلك مركز الامام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، موقع الامام موسى الصدر، الشبكة العالمية للمعلومات، الانترنيت

٤. للتفصيل ينظر: ليلى بديع عيتناني(اعداد)، حرب لبنان، صور، وثائق، أحداث، بيروت، دار المسيرة، ط(٤)، ١٩٨٢. وعدنان فحص، الحرب اللبنانية، أسباب ونتائج، بيروت، دار الحسام،.1991

٥. نعيم قاسم، حزب الله ، المنهج، التجربة، المستقبل، بيروت، دار الهادي،٢٠٠٢،ص21-20:

٦. سورة المائدة، الآية(55)

٧. يوسف الاغا، حزب الله، التاريخ الايدلوجي والسياسي(١٩٧٨-٢٠٠٨)، ترجمة: نادين نصر الله، دراسات عراقية، بغداد-اربيل-بيروت،٢٠٠٨،ص14:

8. Moojan Momen, An Introduction to Shiite Islam: The History and Doctrines of Twelve's Shiism, New Heaven and London, Yale University Press,1985:p:196

9. Gregory Rose, Velayet e- Faqeh and Recovery of Islamic identity in the thought of Ayatollah Khomeini, in Religion and Politics of Iran , Nikki Keddie, New Heaven and London, Yale University Press, 1980,p:170

١٠. عبد الغني عماد، إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، الاسكندرية، مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، سلسلة مراصد، العدد(٢٠)،٢٠١٣،ص13

١١. نعيم قاسم، مصدر سبق ذكره؛ص273:

١٢. عبد الغني عماد، مصدر سبق ذكره،ص16:

١٣. حسين هاشم، حزب الله في البرلمان اللبناني، الايدلوجية الدينية والحركات السياسية، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية،٢٠٠٣-٢٠٠٤،ص47

١٤. عبد الغني عماد، مصدر سبق ذكره،ص40:

١٥. عبد الغني عماد، حاكمية الله وسلطان الفقيه، قراءة في خطاب الحركات الاسلامية المعاصرة، الطبعة الثانية، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥،ص112:

١٦. عبد الاله بلقزيز، حزب الله من التحرير الى الردع(١٩٨٢-٢٠٠٦)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٦،ص 49:

١٧. وجيه كوثراني، بين فقه الاصلاح الشيعي و ولاية الفقيه، الدولة والمواطن، بيروت، دار النهار، ٢٠٠٧،ص51-50: وتفصيل اكبر حول استخدام سلاح الحزب في فرض معادلة سياسية في لبنان، ينظر: وضاح شرارة، دولة حزب الله، لبنان مجتمعاً اسلامياً، بيروت، دار النهار ٢٠٠٦، ص421-20

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: الكتب باللغة العربية

١. .حسن فضل الله، حزب الله والدولة في لبنان الرؤية والمسار، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة،2017

٢. .سليمان ظاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، بيروت، الدار الاسلامية،.2002.2

٣. سليمان ظاهر، معجم قرى جبل عامل، بيروت، دار التعارف،2006.

٤. عبد الاله بلقزيز، حزب الله من التحرير إلى الردع،١٩٨٢-٢٠٠٦، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،2006.

٥. عبد الغني عماد، إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، الإسكندرية، مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، سلسلة مراصد(20)،2013.

٦. عبد الغني عماد، حاكمية الله وسلطان الفقيه، قراءة في خطاب الحركات الاسلامية المعاصرة، الطبعة الثانية، بيروت، دار الطليعة،2015 .

٧. غراهام فولر ورند رحيم فرانكي، الشيعة العرب، المسلمون المنسيون، ترجمة: غيث يوسف محفوظ، بيروت، مركز الرافدين للحوار،2021 .

٨. فؤاد عجمي، الامام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان، بيروت، دار الاندلس، 1987.

٩. مسعود ظاهر، تاريخ لبنان الاجتماعي، بيروت، دار الفارابي،1974.9 .

١٠. نعيم قاسم، حزب الله .. المنهج، التجربة والمستقبل، بيروت، دار الهادي،2002.10.

١١. وجيه كوثراني، بين فقه الاصلاح الشيعي و ولاية الفقيه، الدولة والمواطن، بيروت، دار النهار،2007.

١٢. وضاح شرارة، دولة حزب الله، لبنان مجتمعاً اسلامياً، بيروت، دار النهار، 2006

١٣. يوسف الاغا، حزب الله التاريخ الايدلوجي والسياسي(١٩٧٨-٢٠٠٨)، ترجمة: نادرين نصر الله، دراسات عراقية، بغداد، اربيل، بيروت،2008 .

المصادر باللغة الانكليزية

1. Moojan Momen, An Introduction to Shiite Islam: The History and Doctrines of Twelve's Shiism, New Heaven and London, Yale University Press,1985.
2. Gregory Rose, Velayet e- Faqeh and Recovery of Islamic identity in the thought of Ayatollah Khomeini, in Religion and Politics of Iran , Nikki Keddie, New Heaven and London, Yale University Press, 1980.

الرسائل والاطروحات الجامعية

١. حسين هاشم، حزب الله في البرلمان اللبناني، الايدلوجية الدينية والحركات السياسية، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية،2004-2003.

The Holy Quran

First, Arabic References

1. Hassan Fadlallah, Hezbollah and the State in Lebanon, The Vision and the Path, Beirut, Al-Mutta'at Company for Publishing and Distribution, third edition, 2017
2. Suleiman Zahir, Pages from the History of Jabal Amel, Beirut, Islamic House, 2002.
3. Suleiman Zaher, Lexicon of the villages of Jabal Amel, Beirut, Dar al-Ta'rif, 20063
4. Abdelilah Belkeziz, Hezbollah from Liberation to Deterrence, 1982-2006, Beirut, Center for Arab Unity Studies, 2006.
5. Abdel Ghani Emad, The Problem of Politics and Resistance in a Diverse Society, Alexandria, Bibliotheca Alexandrina, Future Studies Unit, Observatories Series (20), 2013
6. Abdul-Ghani Imad, The Governorship of God and Sultan al-Faqih, Reading in the Discourse of Contemporary Islamic Movements, second edition, Beirut, Dar al-Tali'a, 2015

7. Graham Fuller and Rand Rahim Frankie, The Arab Shiites, The Forgotten Muslims, translated by: Ghaith Youssef Mahfouz, Beirut, Al-Rafidain Center for Dialogue, 2021.

8. Fouad Ajami, The Hidden Imam Musa Al-Sadr and the Shiites of Lebanon, Beirut, Dar Al-Andalus, 1987.

9.Masoud Zaher, Social History of Lebanon, Beirut, Dar Al-Farabi, 1974.

10.Naim Qassem, Hezbollah.. The Method, Experience and the Future, Beirut, Dar Al-Hadi, 10.2002

11. Wajih Kawtharani, Between Shiite Reform Jurisprudence and Wilayat al-Faqih, The State and the Citizen, Beirut, Dar An-Nahar, 2007.

12. Wadah Sharara, The State of Hezbollah, Lebanon as an Islamic Society, Beirut, Dar Al-Nahar, 2006.

13. Youssef Al-Agha, Hezbollah Ideological and Political History (1978-2008), translated by: Naderin Nasrallah, Iraqi Studies, Baghdad, Erbil, Beirut, 2008

The English References

1. Moojan Momen, An Introduction to Islam: The History and Doctrines of Twelve's Shiism, New Heaven and London, Ya University Press, 1985.
2. Gregory Rose, Velayet e- Faqeh and Recovery of Islamic identity in the thought of Ayatollah Khomeini, in Religion and Politics of Iran , Nikki Keddie, New Heaven and London, Yale University Press, 1980.

Academic Thesis and Dissertations

1. Hussein Hashem, Hezbollah in the Lebanese Parliament, Religious Ideology and Political Movements, MA thesis, Lebanese University, Institute of Social Sciences, 2003-2004